

بحار الأنوار

[328] عن اﷻ تعالى وهو الطبع والرین، قال اﷻ تعالى: " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " (1) وقال اﷻ: " أن لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون " (2) فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال: " واتقوا اﷻ واسمعوا " (3) " واتقوا اﷻ ويعلمكم اﷻ " (4). ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب، وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق، وصلاح الدين، ويستهيى بالآخرة، ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصوراً لهم عليه، فإذا قرع سمعه أمر الآخرة، وما فيها من الاخطار، دخل من اذن وخرج من الآخرة، ولم يستقر في القلب، ولم يحركه إلى التوبة والتدارك " أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور " (5). وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة، قال بعضهم: روي عن النبي صلى اﷻ عليه وآله: قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس، فطاعة اﷻ تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب، ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه، ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها لم يظلم قلبه، ولكن ينقص نوره، كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح، ثم يتنفس ثم يمسح، فانها لم تخلو عن كدورة، قال اﷻ تعالى " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " (6). فأخبر أن جلاء القلب وإيضائه يحصل بالذكر، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر _____ (1) المطففين: 14. (2) الاعراف: 100 (3) المائدة: 108. (4) البقرة: 282. (5) الممتحنة: 13. (6) الاعراف: 201 (*).